العبادة في المسجد الأقصى بين الإسلام واليهودية والنصرانية
- دراسة مقارنة-

تاريخ تسلم البحث: 22/5/2014م تاريخ قبوله للنشر: 21/8/2014م

بهجت الحباشنة *

مُلخَّص

هذه الدراسة تتناول العبادة في المسجد الأقصى في الإسلام واليهودية والنصرانية، وحتى يتسنى لنا البحث في هذه القضية فلا بد من البحث في النشأة التاريخية للمسجد الأقصى في الديانات الثلاث، لذا هذا البحث يتألف من فصلين من فصلين الأول: يبحث في المسجد الأقصى في الإسلام، فيعالج النشأة التاريخية والعبادة في المسجد الأقصى، والفصل الثاني: يتحدث عن النشأة التاريخية لما يسمى بالهيكل في الديانتين اليهودية والنصرانية، ويتحدث،أيضاً،عن نوعية وكيفية العبادة في هذا المكان في الديانتين اليهودية والنصرانية.

وقد خلصت الدراسة لعدة نتائج أهمها بعد الديانة النصرانية عن اليهودية في موضوع العبادة في المسجد الأقصى، وتوافق النصرانية مع الإسلام في نوعية العبادة وكيفيتها في هذا المعلم العظيم، وهذا يبطل المزاعم الصهيونية التي تروج لوجود قواسم مشتركة بين اليهودية والنصرانية في هذا الموضوع.

Abstract

This study deals with the worship in Al-aqsa mosque in Islam, Judaism and Christianity. This work consists of two chapters, the first is the worship in Al-aqsa in Islam, and the second is the worship in the Temple in Judaism and Christianity. It concludes that there is an agreement between Islam and Christianity upon the kind of the worship in this great place, but there is difference between Christianity and Judaism in the type of worship in the Temple.

* أستاذ مشارك، كلية الشريعة، جامعة آل البيت.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله النبي الأمي الذي نجده مكتوباً في القرآن والتوراة والإنجيل، وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين وبعد،،

فإن كثيراً من المسلمين يجهلون أهم الأمور المتعلقة بالمسجد الأقصى، فنراهم يقصرون ما يسمى بالمسجد الأقصى على المصلى الجنوبي من المسجد، ويفرقون بين هذا المصلى ومصلى قبة الصخرة، علماً بأن اليهود عندما يتحدثون عن ما يسمى بالهيكل المزعوم فهم يعتقدون اعتقاداً جازماً أن مكانه الأساس أو ما يسمى بقدس الأقداس على الصخرة التي تقع تحت القبة، فعندهم إن أقدس مكان هو ما قام عليه مصلى قبة الصخرة ولهذا يطلقون عليها قدس الأقداس، وهي في نظرهم مكان إقامة الرب على الأرض (Shekhanah).

وإن اليهود في العالم يخاطبون النصارى بأن بينهم قواسم مشتركة فيما يتعلق بالهيكل المزعوم، حتى قامت منظمات نصرانية في أوروبا وأمريكا تدعو إلى إعادة بناء ما يسمى بالهيكل، فلا بد من دراسة النصوص اليهودية والنصرانية المتعلقة بالهيكل المزعوم حتى يتسنى لنا معرفة مدى صدق أو كذب الدعوة الصهيونية التي تستغل جهل النصارى حتى تجيشهم ضد المسلمين، وتبرر احتلالهم للمقدسات الإسلامية.

ونتاج ذلك، فإن المطروح عالمياً اليوم فيما يتعلق بالهيكل المزعوم أن يفصل مصلى مسجد قبة الصخرة عن المصلى الجنوبي، وإقناعهم بأنه يوضع بينهما جدار، ويقام الهيكل مكان قبة الصخرة، ويعطى المسلمون المصلى الجنوبي وهو الذي يقصد به المسجد الأقصى، وتحل القضية المتعلقة بالهيكل بين اليهود والمسلمين، وهذه كخطوة أولى للاستيلاء على المسجد الأقصى كاملاً فيما بعد، وتكون كما يروجون: "القدس لجميع المؤمنين".

ولهذا فإن الباحث سوف يقوم بجمع النصوص الإسلامية واليهودية والنصرانية الدينية والتاريخية المتعلقة بالمسجد الأقصى، وبدراستها لمعرفة نوعية العبادة التي تمارس في هذا المكان المقدس وكيفيتها، والذي سوف يكشف للنصارى بعدهم أو قربهم من الديانة اليهودية في هذا المجال. هذا ولا يمكن لنا أن نخوض في نوعية العبادة وكيفيتها ما لم نبحث في النشأة التاريخية لهذا المعلم العظيم، والذي يبصر المسلمين في دقائق الأمور المتعلقة بتاريخ المسجد الأقصى وحدوده. هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
المسجد الأقصى في الإسلام

المبحث الأول: تاريخ المسجد الأقصى في الإسلام:

لقد ورد ذكر المسجد الأقصى بهذه الصيغة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ففي القرآن الكريم قـال تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ...﴾**[الإسراء: 1]، وقد ورد في السنة النبوية فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه:

"حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم التيمي عن أبيه قال: سمعت أبا ذر قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما قال أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه" (البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة).

من هنا ندرك أن هذه التسمية "المسجد الأقصى" هي تسمية توقيفية، ولا اجتهاد فيها، وسمي بهذا الاسم لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام (ابن حجر، 1995م، ج2، ص 494).

وحتى ندرك متى بني المسجد الأقصى، فلا بد من البحث في النصوص القرآنية والحديثية التي لها علاقة ببناء المسجد الحرام، وهذه النصوص هي:

1- قال تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾** [آل عمران: 96]. فهذه الآية الكريمة تطلعنا على حقيقة هامة وهي أن أول بيت وضع للعبادة هو البيت الحرام، وهذا ما ورد عن علي بن أبي طالب حيث قال: "كان أول بيت وضع لعبادة الله – تعالى-" (القرطبي، 1952، ج2، ص 137).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا من الذي قام ببنائه؟ وإجابة على هذا السؤال نجد رأيين قد ذكرا في كتب التفسير، الرأي الأول: مروي عن علي بن أبي طالب حيث قال: "أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم ..." (القرطبي، 1952، ج2، ص 138). والرأي الثاني: ينقل عن ابن حجر العسقلاني –رحمه الله تعالى- حيث قال: "وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين" (ابن حجر، 1995م، ج6، 495). والذي يدفعنا للاستئناس بالرأي الأول، أن الفعل "وضع" الذي ورد في الآية الكريمة جاء بصيغة المبني للمجهول **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾**، وكأن الإنسان لا حول ولا قوة له في وضعه أو بنائه، وإنما غير الإنسان هو من قام بذلك وهم الملائكة والله أعلم.

والرأيان السابقان يؤكدان أن بناء المسجد الحرام كان قبل إبراهيم ، وهذا ما ورد بكل وضوح في القرآن الكريم في قوله –تعالى-: **﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾**[إبراهيم: 37]. فهذه الآية الكريمة تؤكد مكان البيت الحرام وموقعه، رغم اندثاره وعدم وجود معالمه، ولهذا لما أمر إبراهيم بإعادة بنائه ورفع قواعده أخبر من الله عن المكان والموقع الذي كان عليه البيت الحرام، وما يجب على إبراهيم أن يقوم به تجاه هذا البيت، حيث قال تعالى: **﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ...﴾**[الحج: 26].

يقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله- تعليقاً على الآية السابقة: "فقد دل الله إبراهيم على المكان الذي سيأمره لإقامة البيت عليه، وقد كان للعلماء كلام طويل

حول هذه المسألة: فبعضهم يذهب إلى أن إبراهيم هو أول من بنى البيت، ونقول لأصحاب هذا الرأي، الحق -تبارك وتعالى- بوأ لإبراهيم مكان البيت، يعني بينه له، كأن البيت كان موجوداً بدليل أن الله –تعالى- يقول في القصة على لسان إبراهيم: **إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**" (محمد متولي، 1985، ص2603)، ثم بعدما عرف إبراهيم مكان البيت الحرام أمر برفع القواعد كما ورد في قوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ...** [البقرة: 127].

من هنا ندرك أن وجود البيت الحرام كان من زمن آدم ، وبما أن الحديث الذي رواه أبو ذر ورد فيه أن بناء المسجد الأقصى كان بعد بناء الكعبة بأربعين سنة، فيمكن أن يسحب على المسجد الأقصى ما ورد في المسجد الحرام، هو أن الملائكة هم الذين بنوا المسجد الأقصى، وخاصة أن الحديث –أيضاً- ورد فيه الفعل "وضع" مبني للمجهول، أي أن الناس لم يقوموا ببنائه بداية فغيرهم من قام بذلك وهم الملائكة، كما ورد في الرأي الأول، وتم ذلك بعد أربعين سنة من بناء المسجد الحرام – والله اعلم-.

وقد وردت أقوال كثيرة مبثوثة في كتب التاريخ والتفسير في بناء المسجد الأقصى، وكل قول من الأقوال لا ينافي الآخر، فيحتمل أن يكون بناه الملائكة أولاً ثم قام آدم بتجديده، ثم سام بن نوح، ثم يعقوب بن إسحاق ثم داود وسليمان –عليهم السلام جميعاً- وكل ذلك يحمل على تجديد البناء القديم لا تأسيسه (الحنبلي، 1973م، ج1، ص 7).

وقد تواترت الأخبار بموقع المسجد الأقصى، حيث يقع في مدينة القدس، أو ما يسمى ببيت المقدس، والتي تقع في فلسطين، وقد فتحت في العهد الإسلامي في زمن خلافة عمر بن الخطاب وذلك سنة 16هـ (ابن عساكر، بدون تاريخ، ج7، ص 226).

وقد تعارف الناس على أن المسجد الأقصى من جهة القبلة، الجامع المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب، وحقيقة الحال أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه الصور، حيث قام بتحديد مساحته مجير الدين الحنبلي فيقول: "وأما ذرع المسجد فقد اجتهدت في تحريره وتوليت ذلك بنفسي، وقيس بحضوري بالحبال، فكان طوله قبلة بشمال من الصور القبلي عند المحراب المعروف بمحراب داود إلى صدر الرواق الشمالي عند باب الأسباط ستمائة وستين ذراعاً بذراع العمل التي تذرع الأبنية به في عصرنا غير عرض الصورين وإن كان فيه زيادة أو نقص نحو ذراعين أو ثلاثة فهي لاضطراب القياس لبعد المساحة فإني احتطت في تحريره، وقيس بحضوري مرتين حتى تحققت صحة القياس. وعرضه شرقاً بغرب من الصور الشرقي المطل على مقابر باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي الذي هو أسفل مجمع المدرسة التنكزية أربعمائة ذراع وستة أذرع بذراع العمل غير عرض الصورين" (الحنبلي، 1973، ج2، ص 24). وتقدر هذه المساحة في عصرنا الحاضر بمائة وأربعة وأربعين دونماً.

أما المصلى الذي في قبلة المسجد الأقصى، فهو المصلى الذي أمر عمر بن الخطاب ببنائه داخل الأسوار التي تحيط بمساحة المسجد الأقصى، فهو جزء من المسجد، "حيث روي أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار يوم دخلا المسجد الأقصى: أين ترى نجعل المصلى؟ قال كعب: إلى الصخرة. فقال عمر: ضاهيت والله يا كعب اليهودية بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها، اذهب إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكن أمرنا بالكعبة" (الحنبلي، 1973، ج1، ص 256).

وهناك رواية أخرى تقول: إن عمر قال لكعب: أين ترى أن نجعل المسجد أو قال القبلة؟ فقال كعب: اجعله خلف الصخرة فتجتمع القبلتان: قبلة موسى وقبلة محمد –عليهما الصلاة والسلام- فقال له عمر: ضاهيت اليهودية يا أبا إسحاق، خير المساجد مقدمها فبناها في مقدم المسجد (الحنبلي، 1973، ج1، ص 256).

والسؤال الذي يُطرح هنا: متى بني مصلى قبة الصخرة، ولماذا؟

لقد أكدت كتب التاريخ أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هو الذي قام ببناء مصلى قبة الصخرة، حيث بدأ البناء سنة سبع وستين هجرية، وكملت العمارة سنة ثلاث وسبعين هجرية (ابن كثير، 1982م، ج7، ص 280).

وحتى نستطيع أن ندرك لماذا قام الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء مصلى قبة الصخرة، فلا بد من دراسة الروايات الواردة في هذا الموضوع ثم تحليلها ونقدها.

فالرواية الأولى: "إن عبد الملك بن مروان حين حضر إلى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب إلى جميع عماله وإلى سائر الأمصار أن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة على صخرة بيت المقدس تقي المسلمين من الحر والبرد، وأن يبني المسجد، وكره أن يفعل ذلك دون رأي رعيته، فلتكتب الرعية إليه برأيهم وما هم عليه. فوردت الكتب عليه من سائر عمال الأمصار: نرى رأي أمير المؤمنين موافقاً رشيداً إن شاء الله يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه" (الحنبلي، ج1، ص 256). فجمع الصناع لعمله وأرصد للعمارة مالاً كثيراً. يقال إنه خراج مصر سبع سنين ... ووكل على صرف المال في عمارة المسجد والقبة وما يحتاج إليه أبا المقداد رجاء بن حيوة الكندي وكان من العلماء الأعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز " (الحنبلي، ج1، ص 256).

إن جميع ما ورد في الرواية السابقة يمكن أن يقبله الباحث المنصف، إلا قضية واحدة، فمن الصعب قبولها، وهي أن سبب بناء قبة الصخرة هو من أجل حماية الناس في صلاتهم من الحر والبرد، وذلك لأن بناء مسجد واحد وهو الذي يقع في الجنوب الغربي يكفي أن يقي الناس في صلاتهم من الحر والبرد، وهو مكان المصلى المعتاد من زمن الفتح العمري وحتى زمن خلافة عبد الملك بن مروان، لذا فإن هذه الرواية لم تجب عن سؤال، لماذا قام الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء مصلى قبة الصخرة؟

وأما الرواية الثانية: فقد وردت في تاريخ اليعقوبي، ثم قام المستشرقون بالاعتماد عليها ونشرها أمثال جولد تسير ومنتغمري وان وكروزديل وغيرهم، وملخص هذه الرواية أن مكة والمدينة كانتا تحت حكم عبد الله بن الزبير فأراد عبد الملك بن مروان أن يبني بناءً عظيماً ليصرف الناس عن الحج والعمرة أي عن البيت الحرام (اليعقوبي، 1960م، ص 286؛ العمد، 2000، ص 30-41).

وهذه الرواية تصطدم مع كثير من الحقائق، الأمر الذي يدفعنا إلى ردها وعدم قبولها، ومن هذه الحقائق:

1- لقد عرفت شخصية الخليفة عبد الملك بن مروان بالتقوى والورع، ولا يمكن أن يقدم على عمل فيه إبطال ركن من أركان الإسلام وهو الحج.

2- إن عبد الملك بن مروان عندما أقدم على بناء مصلى قبة الصخرة قد بعث رسالة يستشير عماله وعلماء المسلمين في عصر فيه بعض الصحابة أو التابعين، ثم يأتي

الرد بالموافقة وتحسين الأمر، ولا يمكن لمثل هذه الرعية أن تقبل إبطال ركن من أركان الإسلام.

3- لقد أقام الخليفة عبد الملك بن مروان للإنفاق والإشراف على البناء العالم الجليل المعروف بعلمه وتقواه وهو رجاء بن حيوه –رحمه الله تعالى- ولو كان الأمر فيه إبطال ركن من أركان الإسلام لما وافق عليه هذا العالم الجريء في الحق.

4- إن الخليفة عبد الملك بن مروان عندما أمر ببناء قبة الصخرة لم يغير القبلة بل كانت القبلة إلى المسجد الحرام.

5- إن هذه الرواية هي من صنيع اليعقوبي، حيث وردت لأول مرة في تاريخه وذكرت دون سند، ومن المعلوم أن اليعقوبي شيعي جعفري كاره لبني أمية، وقد ظهرت عبارات كثيرة في تاريخه دالة على ذلك، هذا بالإضافة لاعتقاد اليعقوبي كشيعي بعدم قدسية بيت المقدس بشكل عام والمسجد الأقصى بشكل خاص، وأن المسجد الثالث في الإسلام حسب اعتقاد الشيعة الجعفرية الإثني عشرية هو مسجد كربلاء وليس المسجد الأقصى، حيث ذكر ابن بابويه القمي حديثاً موضوعاً يُعدّ أساساً في المعتقد الشيعي، ونص هذا الحديث "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد كربلاء" (ابن بابويه القمي، 1981م، ج1، ص 150).

واليعقوبي في هذه الرواية حاكى المصادر اليهودية في رواية ذكرت عندهم في عشرات المصادر اليهودية والتاريخية، حيث تقول هذه الرواية عندما انقسمت مملكة إسرائيل بعد سليمان إلى دولتين الأولى المملكة الشمالية وعاصمتها نابلس، والثانية الدولة الجنوبية وعاصمتها القدس. وقد قامت حروب طاحنة بين الدولتين أسبابها سياسية واقتصادية وأيديولوجية، وحتى تصرف المملكة الشمالية الناس عن الهيكل الواقع في القدس، قامت ببناء هيكل يعبد فيه العجل في منطقة ما بين نابلس والقدس، وأطلق على تلك المنطقة بيت إئيل، واستطاعت المملكة الشمالية أن تصرف رعاياها عن هيكل القدس الذي يقع تحت سيطرة المملكة الجنوبية (Kaufman, Y., 1961, pp 120-129).

إن ما ورد سابقاً لم يجب عن سؤال: لماذا بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة؟ وللأسف لم أجد مصدراً عربياً يجيب إجابة مقنعة عن هذا السؤال، ولكنني وجدت في بعض المصادر اليهودية كالموسوعة اليهودية وغيرها إجابة قد تكون أقرب للصحة، وإن كانت كلمة حق أريد بها باطل، وهذه الإجابة أوردها علماء اليهود للاستدلال على ظلم بني أمية لليهود، حيث تقول هذه الرواية، إن المكان المقدس في الديانة اليهودية هو الصخرة وهو مكان الحضرة الإلهية على الأرض، ولهذا يطلق عليها قدس الأقداس، وقد كانت في العراء بعد أن حطم الإمبراطور الروماني تيطس عام 70م الهيكل الثاني. وكان اليهود في زمن بني أمية يصلون إلى الصخرة، يزورونها ويمسحونها بالزيت ويقيمون القرابين والصلوات عليها، فساء ذلك عبد الملك بن مروان، فأراد أن يمنعهم من الوصول إليها، فأمر ببناء مصلى عليها حتى يحول بينهم وبين قدس الأقداس (Robinson, T.H., 1966, pp 63-69). وأقول إن هذه الرواية هي أقرب للمنطق

والعقل وخاصة لمن عرف النصوص الإسلامية من قرآن وسنة، وعرف أيضاً شخصية عبد الملك بن مروان، ولهذا قام الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء مصلى قبة الصخرة حتى يمنع اليهود من الدخول إلى المسجد الأقصى، ولهذا انتقل اليهود بعد ذلك ليقيموا صلواتهم ويمارسون عبادتهم عند الحائط الغربي للمسجد الأقصى من الجهة الخارجية والذي يطلق عليه حائط المبكى، حيث يبكون عنده ؛لأنهم محرومون من الدخول داخل السور (Wheeler, H., 1938, pp 44-52).

المبحث الثاني: العبادة في المسجد الأقصى في الإسلام

قبل الحديث عن طبيعة العبادة في المسجد الأقصى في الإسلام، لا بد من الحديث عن مكانة بيت المقدس والمسجد الأقصى، كما وردت في القرآن والسنة، ويمكن أن نلخصها في نقاط أهمها:

1. وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بالمقدسة، حيث قال تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾[المائدة: 21]، ومعنى المقدسة أي المطهرة (البيضاوي، 1996م، ج2، ص 311).
2. ووصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بالمباركة، حيث قال تعالى: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾[الأنبياء: 71]. وقال تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ**﴾[الأنبياء: 81]. ويقول ابن كثير أن الأرض المقصودة هي أرض بيت المقدس (ابن كثير، ج1، ص161).
3. ذكر المسجد الأقصى صراحة في القرآن الكريم، وارتباطه بحادثة الإسراء والمعراج، حيث يقول تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾ [الإسراء: 1].
4. وصف أرض بيت المقدس بـ "مبوأ صدق"، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ...**﴾[يونس: 93]، والمقصود بقوله تعالى: ﴿**مُبَوَّأَ صِدْقٍ**﴾ أرض بيت المقدس وما حولها (القرطبي، ج4، ص 287).

وأما مكانة أرض بيت المقدس والمسجد الأقصى في الحديث الشريف فقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ منها:

1) أن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع للناس في الأرض، عن أبي ذر الغفاري ؓ قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. ثم أينما

أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه" (مسلم، 1987م، كتاب المساجد، باب مواضع الصلاة).

2) إن المسجد الأقصى كان البديل للبيت الحرام ليكون قبلة المسلمين، وقد وردت الآيات القرآنية التي تشير لذلك منها: **سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ...** [البقرة: 141-147].

"وعن البراء بن عازب أن النبي كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً" (النووي، 1995م، ج5، ص11).

3) أن المسجد الأقصى من المساجد التي تشد الرحال إليها، عن أبي سعيد الخدري قال: "ثلاث قالهن رسول الله أو قال سمعتهن منه ... ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا" (البخاري، كتاب الجمعة، باب مسجد بيت المقدس).

4) إن أرض بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر، عن ميمونة مولاة النبي قالت: "يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس؟ فقال: أرض المحشر والمنشر.."(أبو داود، كتاب الصلاة، باب السرج في المساجر).[1]

5) مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الأقصى، حيث وردت تكملة للحديث السابق: ائتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كالألف صلاة فيما سواه، قالت ميمونة: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه قال: فليهدي إليه زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى له كمن صلى فيه" (أبو داود، كتاب الصلاة، باب السرج في المساجر).

وهناك أحاديث كثيرة في مكانة بيت المقدس والمسجد الحرام وفضائلهما لا يسع المقام لذكرها، ولكن ما ذكر هو الذي يفيدنا في دراستنا هذه.

وعندما تتحدث المصادر الإسلامية من قرآن كريم أو سنة نبوية شريفة، سواء بالتلميح أو التصريح عن العبادة في المسجد الأقصى، لا تتحدث عن فترة ما بعد الفتح العمري فقط، بل تتحدث عنه كبيت لله –تعالى- قام الناس فيه لعبادة الله بطريقة لم تختلف عبر التاريخ ما دام الناس على الدين الحق الذي جاء به جميع الأنبياء –عليهم الصلاة السلام- فالعبادة الأساسية كما يقررها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هي الصلاة، والصلاة التي جاء بها الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- هي واحدة في كيفيتها من قيام وركوع وسجود,[2] وإن اختلفت من رسالة لأخرى في عددها أو عدد ركعاتها. ولهذا فقد أطلق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على هذا المكان اسم

"المسجد"، وهذا يدل على أنه مكان للسجود أي للصلاة، حيث قال تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ...** [الإسراء: 1].

وفي الحديث الذي رواه أبو ذر الغفاري حيث قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى ..."(3)

وفي حادثة الإسراء روى أنس بن مالك أن رسول الله قال: "أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ..." (النووي، ج1، ص 214).

من هذا الحديث نستطيع أن نتوصل لعدة حقائق هي:

1- إن العبادة التي مارسها النبي محمد وجميع الأنبياء من قبله هي الصلاة، وهذا يظهر في تسميته بـ "المسجد"، وكذلك من قول المصطفى : "ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين".
2- إن هذا المكان عبر التاريخ فهو مسجد اعتاد دخوله الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- قبل بعثة محمد ويظهر ذلك من قول النبي : " فربطه في الحلقة التي يربط بها الأنبياء". ويشير القرآن الكريم إلى ذلك في بعض الآيات القرآنية منها: قال تعالى في زكريا : **فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ** [آل عمران: 39]. والمحراب هنا هو محراب المسجد الأقصى (البيضاوي، ج2، ص 34).
3- إن النبي قد فرق بين المدينة والمسجد، ويظهر ذلك في قوله : "... حتى أتيت بيت المقدس ... ثم دخلت المسجد".
4- إن معالم المسجد الأقصى كانت ظاهرة وواضحة عندما أسري برسول الله ، ويظهر ذلك من قوله : "ثم دخلت المسجد ... ثم خرجت ...".

ومن خلال ذلك، نستطيع أن ندرك أن المسجد الأقصى في الإسلام هو كغيره من المساجد وأن تميز عنها ببعض الأمور التي ذكرت سابقاً، لكنه تنطبق عليه أحكام المساجد المبثوثة في كتب الحديث والفقه والتفسير، فهو بيت لله –تعالى- تقام فيه الصلوات، وحلقات الدروس والعلم، وتتدارس فيه أحوال الأمة ... هذا بالإضافة أن النبي نهى عن أمور أن تمارس في المساجد كالبيع والشراء ... إلخ.

الفصل الثاني

المسجد الأقصى في اليهودية والنصرانية

لقد وضع الباحث الديانتين في فصل واحدٍ وذلك لاشتراكهما في بعض الأمور المتعلقة بالمسجد الأقصى، وخاصة عند الحديث عن تاريخ هذا المكان –كما سوف يظهر فيما بعد- وكذلك لأن الديانتين اليهودية والنصرانية لا تمثلان ما جاء به موسى وعيسى –عليهما السلام- حيث خرج أتباع هاتين الديانتين عما جاء به الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام-، وهناك آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية شريفة تؤكد أن ما جاء به جميع الأنبياء هو الإسلام، من هذه الآيات ما يتعلق بما جاء به موسى .

1- قال تعالى: **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُم آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ**[يونس: 84].

2- قال تعالى: **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** [يونس: 90].

3- قال تعالى: **وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**[الأعراف: 120-126].

وما يتعلق بدعوة عيسى فقد وردت آيات عدة منها:

1- قال تعالى: **وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** [البقرة: 135-136].

---

[1] (?) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب السرج في المساجد، قال الألباني: إسناده صحيح، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، 1989م.

[2] (?) انظر: سورة آل عمران، الآية 45.

[3] (?) سبق تخريجه.

2- قال تعالى: **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**[آل عمران: 52].

3- قال تعالى: **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ**[المائدة: 111].

ويؤكد ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، أن دين الله واحد أنزله إلى جميع الأمم، منذ أن خلق الله –تعالى- آدم وحتى إرسال محمد (ابن تيمية، بدون تاريخ، ج1، ص 5؛ ج2، ص 32)، وهذا مطابق للحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة عن النبي حيث قال: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس بيننا نبي".[4]

المبحث الأول: تاريخ المسجد الأقصى في اليهودية والنصرانية

عند الحديث عن تاريخ المسجد الأقصى في المصادر اليهودية والمصادر المسيحية، نجد أن هنالك وحدة في وجهة النظر، وهذا ناشئ من إيمان اليهودي والنصراني في العهد القديم (Tanakh)، والذي احتوى على كثير من النصوص التي تتحدث عن ما يسمى عندهم بالهيكل، وهذه النصوص تقسم الحديث إلى عدة مراحل تاريخية هي:

المرحلة الأولى: مرحلة حكم داود :

بعدما توفي شاؤل ملك إسرائيل[5] نصب داود ملكاً على يهوذا كما ورد في سفر صموئيل الثاني: "وجاء رجال يهوذا فنصبوا داود ملكاً عليها" (صموئيل الثاني 2: 4)، وكانت عاصمته حبرون.[6] ثم أصبح داود –بعد ذلك- ملكاً على كل إسرائيل كما ورد في النص: "وتوافد جميع رؤساء أسباط إسرائيل إلى داود في حبرون قائلين: "إننا لحمك وعظمك، وفي الأيام الغابرة عندما كان شاؤل ملكاً علينا كنت أنت قائدنا في المعارك، وقد قال الرب لك: أنت ترعى شعبي إسرائيل وتتولى حكمه" (صموئيل الثاني 5: 1-2). ثم أصبح ملكاً على كل قبائل بني إسرائيل، ثم قام بالتقدم نحو

---

4 (?) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى .

5 (?) وهو الملك طالوت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة البقرة.

6 (?) وهي مدينة "الخليل" والتي تقع جنوب فلسطين.

القدس، وحارب أهلها اليبوسيين، واستولى عليها، ونقل عاصمة ملكة إليها (صموئيل الثاني 5: 4-10).

وتؤكد النصوص اليهودية أن الملك داود عندما استقر له الأمر وأصبحت أورشليم (القدس) عاصمة لمملكته أراد أن يفعل كما فعل موسى في صحراء سيناء، حيث بنى خيمة الاجتماع، ووضع فيها تابوت العهد (الخروج: 33: 7-12). لذا فقد قام داود بنقل التابوت من حبرون (الخليل) إلى أورشليم (القدس)، وقام ببناء الخيمة، ثم قام بحفظ تابوت العهد فيها (صموئيل الثاني: 6: 12-19. أخبار الأيام الأول: 15: 1-15). ثم بعد فترة من الزمن تؤكد المصادر اليهودية والمسيحية أن داود أراد أن يبني بيتاً لله يوضع فيه تابوت العهد، بدلاً من الخيمة، حيث ورد في سفر أخبار الأيام الأول ما نصه: "وبعد أن استقر المقام بداود في قصره قال لناتان النبي: أنا أسكن في قصر مبني من خشب الأرز بينما تابوت عهد الرب لا يزال في خيمة، فأجاب ناتان: اضع ما يحدثك به قلبك ؛لأن الرب معك. ولكن في تلك الليلة خاطب الرب ناتان: توجه إلى داود عبدي وبلغه هذا ما يقول الرب: لست أنت الذي تبني لي بيتاً، فأنا لم أسكن في بيت منذ أن أخرجت بني إسرائيل إلى هذا اليوم، بل كنت انتقل من خيمة إلى خيمة، ومن مسكن إلى مسكن، فهل في أثناء مرافقتي لإسرائيل طالبت ولو بكلمة واحدة أحد قضاتهم الذين أوكلت إليهم رعاية شعبي، قائلاً: لماذا لم تبنوا لي بيتاً من خشب الأرز"(أخبار الأيام الأول: 17: 1-7).

ومن خلال النصوص الدينية اليهودية والنصرانية ندرك أن عمل داود في الهيكل يتلخص بالنقاط الآتية:

1- إن بناء بيت للإله كان اجتهاداً من داود، وليس أمراً من الرب، حيث ورد في سفر أخبار الأيام الأول، وقال داود لسليمان: "يا بني كان في نيتي أن أبني هيكلاً لاسم الرب إلهي" (أخبار الأيام الأول: 22: 7).
2- إن داود قام بتعين مكان الهيكل وموقعه وهو مدينة القدس على جبل موريا (Moriah) (Alan Unterman, 1993, p 196)، واختار هذا المكان ليس لقداسته، ولكن لأن الرب أمر إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق على ذلك الجبل، وبالذات على الصخرة الموجودة في ذلك المكان (التكوين: 22: 2؛ تلمود بابل Sanhedrin 93 ab).

3- قام داود بوضع مخطط بناء الهيكل، حيث ورد في النص: "وقدم داود لسليمان تصميمات الرواق وبيوته ومخازنه وأجزائه العليا وغرفه الداخلية وقدس الأقداس" (أخبار الأيام الأول: 28: 11).

4- قام داود –أيضاً- بتحضير مواد البناء، ويظهر ذلك من خلال وصيته لابنه سليمان، حيث قال له: "وها أنا قد كابدت كل مشقة لأعد لبناء بيت الرب، مئة ألف وزنة من الذهب، وألف ألف وزنه من الفضة، ونحاساً وحديداً لا يمكن وزنه لوفرته. وقد جهزت،أيضاً، خشباً وحجارة، وعليك أن تضيف عليها، ولديك عدد غفير من العمال" (أخبار الأيام الأول: 22: 14-16).

ثم تؤكد النصوص الدينية أن الرب قد نهى داود عن أن يقوم ببناء بيت له، وأمره أن يترك تلك المهمة لابنه سليمان، حيث ورد في سفر أخبار الأيام الأول ما نصه: "ثم استدعى ابنه سليمان وأوصاه أن يبني هيكلاً للرب إله إسرائيل. وقال داود لسليمان: يا بني، كان في نيتي أن أبني هيكلاً لاسم الرب إلهي. ولكن الرب خاطبني قائلاً: لقد أهرقت دماءً كثيرة على الأرض وخضت حروباً عظيمة، لهذا لا يمكنك أن تبني بيتاً لاسمي، غير أنه يولد لك ابن يكون رجل سلام وأمن، وأنا أريحه من جميع أعدائه المحيطين به، فيكون اسمه سليمان، وأجعل السلام والسكينة يسودان إسرائيل في أيامه. هو يبني بيتاً لاسمي، ويكون لي ابناً، وأنا له أباً، وأثبت عرشه على إسرائيل إلى الأبد" (أخبار الأيام الأول: 21: 6-10).

المرحلة الثانية: مرحلة حكم سليمان بن داود

تؤكد النصوص الدينية اليهودية والنصرانية أن داود قد تنازل عن العرش لابنه سليمان، حيث ورد في سفر الملوك الأول ما نصه: "وقال الملك داود: استدع لي صادوق الكاهن وناثان النبي وبناياهو بن يهوياداع. فدخلوا إلى حضرة الملك فقال الملك لهم: خذوا معكم رجال حاشية سيدكم، وأركبوا سليمان ابني على بغلتي الخاصة، وانطلقوا به إلى جيحون. وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على إسرائيل ..." (سفر الملوك الأول: 1: 32-34).

وبعد أن تولى سليمان الحكم كانت أول نصيحة تلقاها من والده هي أن يقوم ببناء الهيكل، حيث ورد في سفر أخبار الأيام الأول نص تلك الوصية حيث تقول: ثم استدعى ابنه سليمان وأوصاه أن يبني هيكلاً للرب إله إسرائيل ..." (أخبار الأيام الأول: 22: 6). ثم يقوم داود بتشجيع ابنه سليمان بقوله: "فتقو وتشجع واعمل، لا تجزع ولا

ترتعب؛ لأن الرب الإله إلهي معك، ولن يخذلك ولا يتركك حتى تستكمل عمل خدمة الرب..." (أخبار الأيام الأول: 28: 20).

ثم أخذ سليمان بتنفيذ وصية والده، فباشر ببناء الهيكل على جبل المُرَيّا،حيث نفذ اختيار أبيه وكان ذلك في السنة الرابعة من ملكه (أخبار الأيام الثاني: 3: 1، 2). أما عن أوصاف الهيكل الذي بناه سليمان فيقول النص: "أما الهيكل الذي أنشأه سليمان فكان ستين ذراعاً[7] طولاً وعشرين ذراعاً عرضاً. وكان طول الرواق القائم أمام الهيكل عشرين ذراعاً معادلاً لعرض الهيكل، وارتفاعه مئة وعشرون ذراعاً، وقد غشاه من الداخل بالذهب النقي، وغطى الجدران الداخلية بخشب السرد وغشاه بذهب نقي، نقش عليها أشكال نخيل وسلاسل. وجمَّل الهيكل فرصعه بحجارة كريمة ... وشيد محراب قدس الأقداس، فكان طوله مساوياً لعرض الهيكل فكان مربع الشكل، طوله يعادل عرضه، عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ..." (أخبار الأيام الأول: 3: 3-9). وصاغ سليمان تمثالين لملاكين غشاهما بذهب ووضعها في قدس الأقداس" (أخبار الأيام الأول: 3: 10). "وضع الحجاب الفاصل بن المحراب وبقية الهيكل" (أخبار الأيام الأول: 3: 14). وأقام أمام الهيكل عمودين، طول كل منهما خمسة وثلاثون ذراعاً" (أخبار الأيام الأول: 3: 15). "وضع سليمان مذبح النحاس طوله عشرون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وارتفاعه عشرة أذرع" (أخبار الأيام الأول: 4: 1). "وسبك بركة من النحاس مستديرة طول قطرها من حافتها إلى حافتها عشرة أذرع وارتفاعها خمسة أذرع، وطول محيطها ثلاثون ذراعاً" (أخبار الأيام الأول: 4: 2).

وبعد أن أتم سليمان بناء الهيكل قام بإدخال التابوت إليه باحتفال مهيب وُصف في نصوص العهد القديم (Tanakh) بالتالي: "حينئذٍ جمع سليمان جميع رؤساء بني إسرائيل وكل رؤساء الأسباط والعشائر في أورشليم (القدس)، لنقل تابوت عهد الرب من صهيون مدينة داود إلى الهيكل. فتوافد جميع رجال إسرائيل إلى الملك سليمان في عيد المظال الواقع في شهر تشرين الأول، فاحتشد كل شيوخ إسرائيل، وحمل الكهنة التابوت، ونقل الكهنة واللاديون تابوت الرب مع خيمة الاجتماع وسائر الأواني المقدسة التي في الخيمة ... وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانة في محراب الهيكل، في قدس الأقداس ..." (سفر الملوك الأول: 8: 1-7).

وتذكر الكتب اليهودية والتاريخية أن هذا الهيكل بقي قائماً حتى سنة 586ق.م، حيث غزا نبوخذ نصر مملكة يهوذا وسبى بني إسرائيل إلى بابل وذلك بعد أن حطم

[7] (7) لقد ورد في تفسير الذراع أنه يساوي نصف متر مقياس العصر الحاضر.

الهيكل تحطيماً كاملاً (John Bright, 1988, p 327): فقد ورد في سفر الملوك الثاني ما نصه: "وفي اليوم السابع من الشهر الخامس من السنة التاسعة عشرة من حكم الملك نبوخذ نصر ملك بابل قدم بنوزرادان قائد الحرس الملكي من بابل إلى أورشليم، وأحرق الهيكل وقصر الملك وسائر بيوت أورشليم ..." (سفر الملوك الثاني: 25: 8-10).

المرحلة الثالثة: مرحلة حكم كورش ملك فارس

عندما ملك كورش عرش فارس وكان ذلك عام 536ق.م أمر بإرجاع بني إسرائيل الذين جاء بهم بنوخذ نصر إلى بابل عام 586ق. م. ومن قبله سرجون الثاني الأشوري والذي حطم مملكة إسرائيل الشمالية عام 722ق. م. وقد ورد في سفر أخبار الأيام الثاني ما نصه: "حرك الرب قلب كورش ملك فارس، فأطلق نداءً في كل أنحاء مملكته قائلاً: هذا ما يقوله كورش ملك فارس: الرب إله السماء وهبني جميع ممالك الأرض، وأمرني أن أبني له هيكلاً في أورشليم التي في يهوذا. وعلى كل واحدٍ من شعب الرب أن يرجع إلى هناك وليكن الرب معكم" (أخبار الأيام الثاني: 36: 22-23).

وكما هو مفهوم في الكتاب المقدس من كثرة التناقضات، فهنالك نص ورد في سفر عزرا يتحدث عن بناء الهيكل بقصة تتناقض مع النص السالف الذكر. حيث ذكر ذلك النص أن الملك ارتحشنستا والذي ملك بعد كورش هو الذي أمر ببناء الهيكل وعودة بني إسرائيل إلى فلسطين، حيث أصدر أوامره بذلك إلى عزرا، حيث يقول النص: "من أرتحشنستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء سلامٌ كامل، وبعد. لقد صدر مني أمر بالسماح لكل من أراد في مملكتي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع معك إلى أورشليم، فأنت مرسل من قبل الملك ومستشاريه السبعة للاطلاع على مدى تطبيق أبناء يهوذا وأورشليم لشريعة إلهك التي بين يديك، وليحمل ما يتبرع به الملك ومستشاروه من فضة وذهب لإله إسرائيل الذي مسكنه في أورشليم ... ثم خذ من بيت مال الملك ما ترى الهيكل في حاجة إليه. وقد أصدرت أمراً، أنا أرتحشنستا الملك، إلى جميع أمناء أموال الملك في عبر نهر الفرات أن تلبوا على وجه السرعة كل مطالب الكاهن كاتب شريعة إله السماء ... ولينفذ بأسرع وقت كل ما يأمر به إله السماء بشأن هيكله" (سفر عزرا: 7: 11-28).

وعلى أية حال، سواء اعتمدت الرواية الأولى أو الرواية الثانية فهذا أمر لا يهمنا، ولكن الذي يعنينا هنا أن المصادر المقدسة اليهودية تؤكد أن الهيكل الثاني قد تم بناؤه

على طراز الهيكل الأول (John B., 1988, p 50-53)، ثم بقي الهيكل الثاني قائماً حتى عام 70م، ثم جاء القائد الروماني تيطس فقام بتحطيمه.

والعجب كل العجب أن تعطي المصادر اليهودية الملك الفارسي كورش نفس الألقاب التي أعطيت لكهان بني إسرائيل، وأبنائهم، حيث أطلق عليه المسموح من الإله أو المختار من الإله، علماً بأن كورش كان فارسياً ويدين بالدين المجوسي، حسب ما ذكرت المصادر اليهودية (B. Habashneh, 1994, p 14).

المبحث الثاني: العبادة في المسجد الأقصى في اليهودية

قبل الحديث عن طبيعة العبادة في المسجد الأقصى عند اليهود، لا بد من الحديث عن تقسيم المجتمع في اليهودية لما له من علاقة في العبادة في اليهودية. فقد قسم المجتمع عندهم إلى أربعة أقسام يظهر من خلالها مدى تأثر اليهودية بتقسيم المجتمع في الديانة الهندوسية (حسين، 2009م، ص194-200؛ شلبي، 1995م، ص 70)، وهذه الأقسام الأربعة هي:

1) طبقة الكهنة (اللاويون)، وهم الذين انحدروا من سلالة لاوي بن يعقوب، ويقابل ذلك طبقة (البراهمة) في الهندوسية.
2) طبقة الحكام، وهم الذين انحدروا من سلالة يهوذا بن يعقوب. ويقابل ذلك طبقة (الكاشتيريا) في الهندوسية.
3) طبقة عامة الناس، وهم الإسرائيليون نسباً، ويقابل ذلك طبقة (الويشا) في الهندوسية.
4) طبقة الأميين أو العبيد (الجوييم)، وهم الذين ينحدرون من أمم أخرى ولا صلة لهم نسبية ببني إسرائيل (Philip S., 1987, pp36-41)، ويقابل ذلك طبقة (الشودرا) في الهندوسية (حسين، ص194-200).

والذي يعنينا من هذه الطبقات هي طبقة الكهنة (اللاويون)، لذا فإننا نجد أن السفر الثالث من التوراة المكتوبة (Written Torah) يطلق عليه "اللاويون". وفي هذا السفر نجد حديثاً مفصلاً عن هذه الطبقة وعن دورها ومكانتها في الفكر اليهودي الديني والقومي، وسوف نقتصر الحديث هنا على دورهم في العبادة في الهيكل المزعوم.

يرى اليهود أن قداسة هذه الطبقة (اللاويون) يعود إلى زمن موسى ، ويستشهدون على ذلك من التوراة المكتوبة، سفر اللاويين الإصحاح الثامن، حيث ورد النص التالي: "وقال الرب لموسى: أحضر هارون وأبناءه وثيابهم ودهن المسحة وذبيحة الخطيئة والكبشين ... فقدم موسى هارون وأبناءه وغسلهم بماء، وألبس هارون ونطقه بالحزام، وكساه بالجبة، ووضع عليه الرداء ... ووضع موسى على رأس هارون العمامة، وعلق عليها فوق الجبهة صفيحة الذهب، الإكليل المقدس، تماماً كما أمر الرب ... ثم أحضر موسى أبناء هارون وألبسهم أقمصة، ونطقهم بأحزمة، وعصب على رؤوسهم القلانس كما أمره الرب" (سفر اللاويين: 8: 1-13).

أما عن واجبات اللاويين، فهنالك نصوص كثيرة تدل على أنهم هم المكلفون بخدمة الهيكل وإقامة الشعائر الدينية، ولا يجوز لأي إنسان غير لاوي أن يقوم بذلك، من هذه النصوص: "هؤلاء هم أبناء لاوي بحسب انتمائهم إلى بيوت آبائهم. وهم رؤوس عائلاتهم، كما تم تسجيلهم بحسب أسمائهم، وأحصوا من ابن عشرين فما فوق ليقوموا بالعمل المحدد لهم في خدمة الهيكل. لأن داود قال: لقد أراح الرب إله إسرائيل شعبة فسكن في أورشليم إلى الأبد، لهذا لن يعود اللاويون ينتقلون بالخيمة وآنيتها من مكان إلى آخر ... يقومون بخدمة بيت الرب والاعتناء بالدور والحجرات، والمحافظة على قدسية مقدساته، والاهتمام بسائر متطلبات خدمة الهيكل، من تحضير خبز الوجوه والدقيق المعجون بالزيت، ومراقبة المقاييس والموازين، فضلاً عن القيام بإزجاء الحمد للرب وتسبيحه بكرة وعشية، والمساعدة في تقريب محرقات للرب في أيام السبت ومطالع الشهور القمرية ومواسم الأعياد، وكان عليهم أن يخدموا الرب بصورة منظمة بأعداد تتناسب مع الخدمة المعينة لهم، ولحراسة خيمة الاجتماع والقدس، وتحت إشراف أبناء ذرية هارون أقربائهم القائمين بخدمة الرب" (أخبار الأيام الأول: 23: 24-32).

من هذا النص وغيره استطاع علماء اليهود أن يحددوا كيفية العبادة فيما يسمى عندهم بالهيكل، وأن يحصروها بالنقاط الآتية:

1. إن الذين يقومون على الخدمة في الهيكل وممارسة الشعائر هم اللاويون فقط، ولا يجوز لغيرهم القيام بذلك أو حتى دخول الهيكل، حيث يتناوب على خدمة الهيكل أربعة وعشرون رجلاً من اللاويين وذلك لمدة سبعة أيام، ثم يستبدلون بالأسبوع التالي بأربعة وعشرين آخرين، وهلم جرا، حتى يأخذ جميع الكهان دورهم في خدمة بيت الرب (Petuchowski: J, 1972, pp 95-110).
2. يقوم الكهنة بتقديم ثلاث ذبائح واجبة يومياً، واحدة في الصباح وأخرى في وقت الظهيرة وثالثة في المساء، حيث تذبح هذه الذبائح وتحرق، ثم تؤخذ بقاياها للتبرك

بها أو للعلاج من بعض الأمراض الجلدية أو لتطهير الجسد (Petuchowski: J, 1972, pp 95-110).

3. يدخل كبير الكهنة حجرة قدس الأقداس (Idelsohn, A. 1960, pp.112-115) مرة في العام ؛ أي في يوم الغفران،[8] فينثر فيها بقايا من دماء الذبائح ورمادها التي ذبحت في الهيكل، ثم يخرج من قدس الأقداس ولا يدخلها إلا في العام القابل وفي نفس المناسبة (Finkelstein, L., 1999, pp 170-181).

4. تقدم يومياً ذبائح نافلة بين الذبائح الواجبة، يطلق عليها إما ذبائح الشكر، أو ذبائح غفران الذنوب .. إلخ، حيث تقدم من أي شخص يهودي، فتعطى للكهان لتنفيذ ذلك، ولا يسمح لصاحب الذبيحة الدخول إلى بيت الرب (Finkelstein, L., 1999, pp 170-181).

8 (?) وهو العيد الذي يحتفل به اليهود ؛ لأن الرب قبل توبتهم بعد ترك عبادة العجل وغفر لهم ذنوبهم.

المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. ابن بابويه القمي، محمد بن علي بن الحســـين، **من لا يحضـــره الفقيه**، دار التعارف، بيروت، 1981م.
2. ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، بدون دار نشر وتاريخ.
3. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخـاري**، دار الفكر، بيروت، 1995م.
4. ابن عساكر، علي بن الحسن بن وهبة، **تاريخ دمشق الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
5. ابن كثـير، أبو الفـداء الدمشـقي، **البداية والنهاية**، مكتبة المعـارف، بـيروت، 1982م.
6. ابن كثـير، أبو الفـداء الدمشـقي، **تفسير القـرآن العظيم**، دار إحيـاء الـتراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
7. أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب السـرج في المساجد، قال الألباني: إسناده صحيح، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، 1989م.
8. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الجمعـة، بـاب الطيب للجمعة، دار الجيل، بيروت، 1987م.
9. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**.
10. البيضـاوي، عبد الله بن محمـد، **أنـوار التنزيل وأسـرار التأويل**، دار الفكر، بيروت، 1996م.
11. حسن، علي، **الهندوسية من خلال المؤلفات الإسـلامية**، رسـالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2009م.
12. الحنبلي، مجــير الــدين، **الأنس الجليل بتــاريخ القــدس والخليل**، مكتبة المحتسب، عمان، 1973م، ج1، ص7.
13. شــلبي، أحمــد، **مقارنة الأديــان، ديانــات الهند الكــبرى**، مكتبة النهضة، دار الفكر، بيروت، 1995م.
14. **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى .
15. على حسين، **الهندوسية من خلال المؤلفات الإسلامية**.

5. من حق أفراد بني إسرائيل تقديم الزيت والدقيق والبخور والذبائح لبيت الرب، حيث تسلم للكهان للقيام بالمطلوب (Blumenthal, D.R, 1978, pp 22-27). هذه هي العبادة الرئيسة التي تمارس فيما يسمى عندهم بالهيكل، فلا صلاة فيها، بل تقتصر على تقديم الهدايا والقرابين، والتي يقوم بها اللاويون نيابة عن شعب بني إسرائيل (Elon, M., 1975, pp 75-83).

ولكن هناك ملحوظة لا بد من ذكرها، وهي عندما حطم الهيكل على يد نبوخذ نصر عام 586ق.م، ثم سبى بني إسرائيل إلى بابل، فقد فكر علماء بني إسرائيل كيف يمكن أن يمارسوا العبادة التي كانت تمارس في الهيكل، فبعد جدل فقهي طويل استقر رأيهم على بناء بيت عبادة في بابل، ولكن لا يكون بديلاً عن الهيكل، ثم تمارس فيه الصلوات بدلاً من الذبح (I. Abrahams, 1922, pp 121-125)، فأصبحت تقام

---

16. العمـــد، عبد الـــرحمن، **مكانة المســـجد الأقصى في العقيـــدة الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2000م.
17. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن الكـريم**، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، 1952.
18. مجير الدين الحنبلي: **الأنس الجليل**.
19. محمد متولي، **تفسير الشعراوي**.
20. مسـلم، بن الحجـاج القشـيري، **صـحيح مسـلم**، كتـاب المسـاجد، بـاب مواضع الصلاة، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1987م.
21. النـووي، يحـيى بن شـرف، صـحيح مسـلم بشـرح النـووي، دار الفكـر، بيروت، 1995م.
22. اليعقوبي، أحمد بن أبي أيـوب، **تاريخ اليعقـوبي**، بـيروت، دار صـادر، 1960م.

المراجع باللغة الانجليزية:

1. Abrahams, I. (1922). A companion to the authorized daily pray book, London.
2. Bright, J. (1988). A history of Israel (3rd ed). London.
3. Blumenthal, D.R. (1978). Understanding Jewish Mysticism. New York.
4. Elon, M. (1975). The principles of Jewish law. Jerusalem.
5. Finkelstein, L. (1999). The Jews, their history, culture and religion (4th ed). London.
6. Habashneh, B. (1994). The concept of the messiah. Manchester.
7. Idelsohn, A. (1960). Jewish liturgy and its development. New York.
8. Kanfman, Y. (1961). The religion of Israel from its beginnings to the Babylonian Exile. London.
9. Petnchowski, J. (1972). The scientific study of Jewish liturgy. New York.
10. Philip, S. (1987). Judaism. Glasgow.

في بابل ثلاث صلوات، صلاة في الصباح، وصلاة عند الظهيرة، وصلاة في المساء، ثم انتشر ذلك بين اليهود إلى يومنا هذا (Singer, 1962, pp 46-55).

المبحث الثالث: العبادة في المسجد الأقصى في النصرانية

لقد مر معنا سابقاً أن اليهودية والنصرانية تشتركان في الرؤية فيما يتعلق ما يمسى عندهم بالهيكل، لكنهما تختلفان اختلافاً جذرياً في كيفية العبادة في ذلك المكان، ولهذا نجد نصوصاً صريحة في العهد الجديد ترسم لنا معالم العبادة في الهيكل المزعوم يمكن بيانها في النقاط الآتية:

1- إن الهيكل في النصرانية مكان للوعظ والإرشاد والعلم، حيث جاء في إنجيل لوقا ما نصه: "... ولما لم يجداه (عيسى)، رجعا إلى أورشليم يبحثان عنه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل، جالساً وسط المعلمين يستمع إليهم ويطرح عليهم الأسئلة" (إنجيل لوقا: 2: 41-47). وورد، أيضاً: "وكان يعلم يوماً في الهيكل" (إنجيل لوقا: 19: 47).

وجاء في إنجيل يوحنا تحت عنوان "يسوع يعلم علناً في الهيكل" ما نصه: "ولما مضى من العيد نصفه، صعد يسوع إلى الهيكل وبدأ يعلم الناس فدهش اليهود وتساءلوا: كيف يعرف هذا الكتب وهو لم يتعلم؟ فأجابهم يسوع: ليس تعليمي من عندي، بل من عند الذي أرسلني ..." (إنجيل يوحنا: 7: 14-18).

2- إن ما يسمى بالهيكل في المسيحية فهو مكان للصلاة، حيث وردت عدة نصوص تشير لذلك منها: "ولما وصل إلى المكان (جبل الهيكل)، قال لهم (عيسى): صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة. وابتعد عنهم مسافة تقارب رمية حجر، وركع يصلي .. وظهر له ملاك من السماء يشده، وإذ كان في صراع، أخذ يصلي بأشد إلحاح، حتى إن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض. ثم قام من الصلاة وجاء إلى التلاميذ، فوجدهم نائمين من الحزن. فقال لهم: ما بالكم نائمين، قوموا وصلوا لكي لا تدخلوا في تجربة" (إنجيل لوقا: 22: 39-46).

3- إن الهيكل في النصرانية مفتوح ومتاح لجميع بني إسرائيل وليس حكراً على اللاويين، وقد ورد في إنجيل يوحنا "وفي أثناء الاحتفال بعيد تجديد الهيكل في

11. Robinson, T.H. (1966). Hebrew religion: Its origin and development. London.
12. Singer, S. (1962). The authorized daily prayer book. London.
13. Unterman, A. (1993). Dictionary of Jewish. London.
14. Wheeler, H. (1938). The history of Israel, its facts and factors. London.

الشتاء، كان يسوع يتمشى في الهيكل في قاعة سليمان، فتجمع حوله اليهود وقالوا له: حتى متى تبقينا حائرين بشأنك؟ إن كنت أنت المسيح حقاً، فقل لنا صراحة" (إنجيل يوحنا: 10: 22-24).

4- هنالك أعمال كان عيسى ينهى عن ممارستها في الهيكل، من هذه الأعمال البيع والشراء في فناء الهيكل، حيث ورد في النص "ثم دخل يسوع الهيكل، وطرد من ساحته جميع الذين كان يبيعون ويشترون، وقلب موائد الصيارفة ومقاعد باعة الحمام، وقال لهم: مكتوب: إن بيتي للصلاة يدعى ..." (أنجيل متى: 21: 12-14). وفي إنجيل مرقس "وعلمهم قائلاً: أما كتب: إن بيتي بيت للصلاة يدعى عند جميع الأمم" (إنجيل مرقس: 11: 17). ثم ورد نص يفيد تطهير بيت الله –تعالى- من الأصنام، ففي الرسالة الثانية لمؤمني كورنثوس ورد النص الآتي: "وأي وفاق لهيكل الله مع الأصنام؟" (الرسالة الثانية لمؤمني كورنثوس: 6: 16).

5- إلغاء نظام الكهنوتية التي كانت في اليهودية، وقد ورد في الرسالة إلى العبرانيين ما نصه "إن شريعة موسى كلها كانت تدور حول نظام الكهنوت، الذي قام بنو لاوي بتأدية واجباته، إلا أن ذلك النظام لم يوصل إلى الكمال .. وحين يحدث أي تغيير في الكهنوت، فمن الضروري أن يقابله تغيير مماثل في شريعة الكهنوت. فالمسيح، رئيس كهنتنا، ولم يكن من سبط لاوي، الذي كان كهنة اليهود ينحدرون منه" (الرسالة إلى العبرانيين: 7: 11-14). فهذا النص يربط بين تغيير نظام الكهنوتية و تغيير العبادة في الهيكل كما ظهر في النصوص السابقة. وفي نص آخر وفي نفس الرسالة ورد الآتي: "هكذا، يتبين أن نظام الكهنوت القديم قد ألغي ؛ لأنه عاجز وغير نافع. فالشريعة لم توصل الذين كانوا يعبدون الله بحسبها ولو إلى أدنى درجات الكمال" (الرسالة إلى العبرانيين: 7: 18، 19).

6- إلغاء شعيرة الذبح في الهيكل، وقد ورد هذا صراحة في النص الآتي: "فبعد أن عبر المسيح عن عدم رضا الله بجميع التقدمات والذبائح التي كانت تقرب مع أنها كانت تقدم وفقاً للشريعة، أضاف قائلاً: ها أنا آتي لأعمل إرادتك، فهو، إذن يلغي النظام السابق، ليضع نظاماً جديداً ينسجم مع إرادة الله" (الرسالة إلى العبرانيين: 10: 8-9).

من هنا ندرك أن اختلافات كبيرة وجوهرية بين اليهودية والنصرانية في النظرة لكيفية العبادة التي كانت تمارس في بيت الإله والذي يطلق عليه الهيكل، بينما هنالك تشابه بين النصرانية والإسلام في نوعية العبادة التي تقام في هذا المكان، وهي الصلاة.

الخاتمة

بعد دراسة العبادة في المسجد الأقصى في الإسلام واليهودية والنصرانية، فقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج هي:

1) إن قداسة المسجد الأقصى في الإسلام قديمة قدم الإنسان، بينما قداسة المسجد الأقصى أو ما يطلق عليه الهيكل المزعوم في اليهودية والنصرانية بدأت من عصر داود فقط.
2) إن الدين الإسلامي هو دين الأنبياء جميعاً، بينما التسميات كاليهودية أو النصرانية فهي تسميات من صناعة البشر.
3) هنالك اتفاق بين اليهودية والنصرانية في تاريخ نشأة ما يسمى عندهم بالهيكل، وهذا يعود لإيمان اليهود والنصارى بالعهد القديم (Tankh).
4) تتفق النصوص الإسلامية مع النصوص النصرانية في نوعية العبادة التي تقام في المسجد الأقصى والذي يسمى في النصرانية الهيكل، حيث تقام فيه الصلوات، ودروس العلم والوعظ، وتناقش فيه مشاكل الأمة.
5) تفرد اليهود في نوعية العبادة التي كانت تقام في الهيكل، فهي عندهم عبارة عن تقديم الذبائح المفروضة والنافلة يومياً، ولا ذكر للصلاة في الديانة اليهودية في هذا المكان.
6) إن اليهود قد تأثروا بالديانة الهندوسية، حيث أخذوا منها نظام الطبقات، ولهذا فلا يجوز أن تقام الشعائر التعبدية في الهيكل إلا من قبل اللاويين وهم الذين يطلق عليهم الكهنة، وحتى لا يجوز لغيرهم دخول هذا المكان.
7) إن النصوص النصرانية تبين أن عيسى جاء وأبطل نظام الكهنوتية في اليهودية وأبطل، أيضاً، شعيرة الذبح، وبين أن هذا المكان متاح لكل بني إسرائيل وليس حكراً على اللاويين، وإن الكهنوتية وشعيرة الذبح لا تنسجم مع مراد الله .
8) لا يوجد عبر التاريخ شيء يدعى هيكل، بل هو مسجد، ولكن العبادة هي التي كانت تتغير فيه حسب إيمان الناس واعتقاداتهم.

التوصيات

هنالك توصية هامة وهي تشجيع الباحثين والمختصين أن يكتبوا مثل هذه الموضوعات والتي تنور بصيرة النصارى في النظر في نصوصهم حتى لا ينخدعوا بالفلسفة اليهودية المتعلقة بفلسطين والمسجد الأقصى، حيث يحاول اليهود الأكاديميون منهم والإعلاميون والساسة أن يبينوا أن هنالك قواسم مشتركة بين اليهودية والمسيحية، مما دفع كثيراً من المنظمات المسيحية في أوروبا وأمريكا أن يتبنوا وجهة النظر الصهيونية لإعادة بناء ما يسمى عندهم بالهيكل المزعوم، والدفاع عنهم أمام الرأي العالمي لتبرير جرائمهم في فلسطين.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش